marifetname
ISSN: 2757-752X
8/1 (Haziran | June 2021)

مَظاهِر اٍستلهامِ التُّراث في تجربةِ نَصرْ سَـمعْان الشِّعريةَّ

Indications of THe Cultural Heritage Inspiration In Nasr Sem'an's Experience of Poetry

Nasr Sem'an'ın Şiir Deneyiminde Kültürel İlhamın Yansımaları

Hafel ALYOUNES
Dr. Öğr. Üye. Siirt Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belağat Bölümü, Siirt/Türkiye
Dr. Lecturer, Siirt University Faculty of Theology, Department of Arabic Language and Rhetoric, Siirt/Turkey
hafel2015@gmail.com

ORCID ID: 0000-0002-8125-2298
DOI: 10.47425/marifetname.865833

Makale Bilgisi | Article Information
Makale Türü | Article Type: Araştırma Makalesi | Research Article
Geliş Tarihi | Received: 21 Ocak /January 2021
Kabul Tarihi | Accepted: 4 Haziran /June 2021
Yayın Tarihi | Published: 30 Haziran /June 2021

Atıf | Cite as
Hafel, Alyounes. "Nasr Sem'an'ın Şiir Deneyiminde Kültürel İlhamın Yansımaları [Indications Of the Cultural Heritage Inspiration In Nasr Sem'an's Experience Of Poetry]" Marifetname. 8/1 (Haziran/2021), s. 225-245

İntihal | Plagiarism
Bu makale, iThenticate aracılığıyla taranmış ve intihal tespit edilmemiştir.
This article, has been scanned by iThenticate and no plagiarism has been detected.

Copyright ©
Published by Siirt University Faculty of Divinity. Siirt/Turkey.
web: https://dergipark.org.tr/tr/pub/marifetname
mail: sifdergisi@gmail.com

مَظَاهِرُ استلهامِ التُّراث في تجربةِ نَصْر سَـمْعَان الشِّعريَّة

ملخص: يتناول البحث مظاهر استلهام التراث بأشكاله المتنوّعة لدى نَصْرِ سَمْعَان، الشّاعر المهجريّ الذي لم ينل حظّه من العناية والدرس على الرغم من غنى تجربته الشعريّة التي أوقفها لخدمة قضايا أمّته.

وقف البحث عند حياة الشاعر المغمور، ثمّ نشاطه الأدبيّ في مهجره، ومفهوم التّراث وتفاعله معه الذي تبدّى في إحياء القديم بشكله دون مضمونه، وتناول الأسباب التي دعته للرجوع إليه، فَوَجدَ أنّها أسباب ذاتيّة وسياسيّة ونفسيّة، ثمّ رصدَ البحث استلهامه للتراث وتوظيفه في تجربته الشّعريّة التي صار أحد مكوّناتها الأساسيّة، ولاسيّما التراث الدينيّ ممثَّلًا بشخصيّة النبيّ(ص)، والإشارات القرآنيّة، والشخصيّات التّاريخيّة والأدبيّة؛ لما لها من مكانة مميّزة في ضمير الأمّة، كما وقف عند شخصيّات أسطورية. ولم يقف البحث عند كلّ استلهام تراثيٍّ في الدِّيوان، إنَّما استلَّ نماذجَ منها، وعرضها بأسلوبٍ وصفيٍّ تحليلي يحاول بواسطته قراءة النصوص الشعرية من داخلها بالاعتماد على الألفاظ ودلالاتها الواسعة وحضورها الغني في مصنفات العربية المعجمية منها أو التاريخية، ثمّ خَلُصَ إلى نتائجَ وتوصياتٍ توضّح أهميّة هذه التجربة المغمورةِ.

الكلمات المفتاحية: الأدب المهجريّ، اسْتِلْهَام، التُّرَاث، سَمْعَان، الشَّخْصيّات.

Indications of the Cultural Heritage Inspiration in Nasr Sem'an's Experience of Poetry

Abstract: This research deals with various manifestations of cultural heritage inspiration, of the exile poet Nasr Sem'an who has not received enough attention and has not been examined adequately despite the richness of his poetry experience devoted to serving his ummah affairs. The research deals with the life of the mysterious poet then his literary activity in exile, the concept of cultural heritage and the effect of this concept not in terms of content but on the way he revives the old and examines the reasons that led the poet to return to this idea. Research has found that these reasons are personal, political, and psychological. Subsequently, the research observed that the fundamental reason of this is his functioning experience in poetry. In particular, the issue of religious heritage, Qur'anic signs, historical and literary personalities in which the personality of the Prophet (S.A.V.) is represented has been studied more meticulously as it has a distinguished place in the ummah conscience. Similarly, the research focused on legendary personalities. The research did focus on every cultural heritage inspiration in Divan poetry but took examples from it and presented them in an analystical characterization style. By means of this style, efforts have been made to

read poetry texts from inside, based on words, their wide meaning content and their abundant presence in both dictionary type and historical Arabic classifications. Then conclusions and recommendations explaining the importance of this mysterious experience are given in a concise form.

Keywords: Arabic Langauge and Rhetoric, Exile Literature, İnspiration, Legacy, Sem'an, Personalities

Nasr Sem'an'in Şiir Deneyiminde Kültürel Ilhamin Yansımaları

Öz: Bu araştırma, ümmetin hizmetine vakfettiği zengin şiir deneyimine rağmen yeterince ilgi görmemiş ve incelenmemiş olan mehcer/göç edebiyatı şairi Nasr Sem'an'da kültürel ilhamın çeşitli şekillerdeki tezahürlerini ele almaktadır. Araştırma, gizemli şairin hayatını, sonra gurbetteki edebî faaliyetini, kültürel miras kavramını ve bu kavramın içerik açısından değil de şekil itibarıyla eskiyi diriltip ihya etmeye başlamasına olan etkisi konusunu işlemekte olup, şairi bu fikre dönmeye iten sebepleri incelemektedir. Araştırmada, bu sebeplerin kişisel, politik ve psikolojik sebepler olduğu sonucuna varılmşıtr. Sonrasında ise araştırmada, onun kültürden aldığı ilhamı ve bunu, temel oluşumlarından biri olan şiir deneyiminde kullanması ele alınmıştır. Özellikle de, Nebî (S.A.V.)'in şahsiyetinin temsil edildiği dînî miras, Kur'ânî işaretler, tarihî ve edebî kişilikler hususu, ümmet vicdanında seçkin bir yer edindiği için daha titiz bir biçimde incelenmiştir. Araştırmada aynı şekilde, efsanevî kişilikler üzerinde de durulmuştur. Çalışmada, Divan'da yer alan her kültürel ilham üzerinde durulmamış ancak ondan örnekler çıkarılmış ve bunlar analitik niteleme üslûbuyla sunulmuştur. Bu üslup aracıyla, lafızlara, bunların geniş anlam içeriğine ve gerek filolojik gerekse tarihî Arapça tasniflerde bol bol yer almalarına dayanarak şiir metinlerinin içeriden okunmasına gayret edilmiştir. Sonra da bu gizemli deneyimin önemini açıklayan sonuç ve tavsiyeler özlü bir biçimde verilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Arap Dili ve Belagati, Mehcer/Göç Edebiyatı, İlham, Miras, Sem'an, Şahsiyetler

مهادُ البحث:

الأدب المهجريّ هو الأدب الذي أنتجه أصحابه في بلاد الأمريكيتين، حينما غادروا بلاد الشّام في بدايات القرن العشرين، هاربين من شظف العيش الذي عصف بالمجتمع الشّامي آنذاك، باحثين عن حياة أكثر استقرارًا وطمأنينة، فخلقوا هنالك أدبًا عبّروا فيه عن كثيرٍ من القضايا التي تخصّ الإنسان وهمومه، وأنشؤوا حواضن لهذا الأدب مثل الرابطة القلميّة في المهجرِ الشّماليّ، والعصبة الأندلسيّة في المهجر الجنوبيّ، ورواق المعري، والنّادي الحمصي، وعدد من المجلّات والصحف التي تصوّر معالم الثقافة والتفكير

والمعرفة، فكانت هذه الحواضن تجمعهم في أفراحهم وأتراحهم، يبثّون من منابرها آراءهم تجاه الحياة وقضاياها المختلفة.

ولعلّ في هذا الأدب ما يغري الباحث ويشوِّقه إلى بعض تلك القضايا حينما يجد أن ثمّة شعراءَ لم يؤتوا نصيبهم من العناية مثلما أوتي المشاهير منهم، أمثال فوزي معلوف ونسيب عريضة وجبران وغيرهم كثير، والحقُّ الذي لا مناص منه، ثمّة أرضٌ بِكْرٌ لمّا تحرث تتمثّل بنصر سمعان –وآخرين– في ديوانه الذي يربو على سبعة ألاف بيتٍ شعريٍّ موزّعة على قصائدَ منها طوالٍ وقِصَارٍ، ذات الأساليب المكينة، واللّغة التي تخرج من لبوسها المعجميّ إلى مدلولات عديدةٍ ، فتؤلّف إلى جانبِ القضايا التي يتناولها– من مثل استحضار الرموز التراثيّة ذات البعد العميق في الموروث الإنسانيّ قاطبة– قيمةً جماليّةً إضافةً إلى قيمها الأخرى. ولا تتمايز تجربة شعريّة ما، بقدر ما تتمايز باللّغة التي يحمِّلُهَا الشّاعر طاقات إيحائيّة كبيرة، ويزوّدها بمدلولات معرفيّة ثرّةٍ، وهو ما تمتّعت به تجربة نصر سمعان الرصينة التي سنتناول استحضاره للتراث فيها.

1–إضاءةٌ على حياة نَصْر سَمْعَان:

نصر بن سليم بن عيسى سمعان، شاعرٌ من شعراء المهجر الأمريكيّ الجنوبيّ، وأحدُ أعلام العصبة الأندلسيّة في سان باولو في البرازيل وممّن شاركوا في الحركة الشعريّة في المغترب الجنوبيّ، وُلدَ في بلدة القصير السوريّة، في الرابع عشر من أيلول سنة خمس وتسع مئة وألف، وفيها تلقّى تعليمه المدرسيّ. وفي سنة 1913م انتقل إلى حمص ودرس سنةً واحدة في المدرسة الأرثوذكسيّة عام 1914م التي وقعت في أواخرها الحرب العالميّة الأولى، ممّا اضطر المدرسة إلى إغلاق أبوابها، فرجع إلى القصير مسقطِ رأسه، وواظب على دراسة اللّغة العربيّة وآدابها[1]، فتعمَّقَ فيها وعرف قواعدَها وعلم العروض اللّذين لم يحصّلهما من المدرسة التي كان آخر عهده به سنة 1915 [2].

ليس في جعبتنا كثيرٌ عن حياة الشاعر سمعان، إلّا ما حفظته مصنّفات الأدب المهجريّ، على قلّتها وضحالة ما فيها تخبرنا بهجرته مع صديقه حسني غراب في بدايات القرن العشرين إلى البرازيل طمعًا في حياة رغيدة عام 1920م[3]. وحينما وصلَ إلى البرازيل، سعى مسعى المجدّ الطَّمُوح لتثبيت دعائم حياة مستقرّة، إلّا أنّ محاولاته باءت بالفشل على الرغم من بذله جهودًا مضنية لتحصيل المال الذي تنكّر له، شأنه في هذا شأن كثيرٍ من أقرانه[4]، فكأنّه والدَّهرَ نظيران يتغالبان، فيغلبه الدَّهر، ومأمولُه منه غير ما وجده، وقد وضع على أبواب رزقه رصدًا يمنع حلولَ الرزق في باحته؛ فيهمع دموعه التي عرفتها بلدان عديدة لكثرة تجوابِه بها بحثًا عن الرزق، وكم من بلد جال أطرافها! ولا أحد يدري ما في نفسه من قهرٍ وألم، يقول في إحدى قصائده:

مَا صَحَّ لي في الدَّهْرِ مُعْتَقَدُ فَمُنَايَ مِنْهُ غَيْرُ ما أَجِدُ

1 آل الجندي، أدهم، **أعلام الأدب والفن**، الجزء الأول، مطبعة مجلة صوت سورية، (د.م.، د.ط.)، 1954، 118. وانظر: قمحية، حسان أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، دار الإرشاد، سورية، حمص، ط1، 2020، 41.

2 الدقاق، عمر، **شعراء العصبة الأندلسية في المهجر**، دار الشرق، د.م. ط2، 1978، 720. وانظر: قمحية، حسان أحمد، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، دار الإرشاد، سورية، حمص ط1، 2020، 23 .

3 عيسى، منير أسعد، **تاريخ حمص**، الجزء الثاني، نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية، حمص، د.ط. 1984، 531. وانظر: قمحية، حسان أحمد، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 23.

4 انظر: الحرّ شكر الله، **نصر سمعان**، مقالة في مجلة الأديب (لبنان)، العدد 5، الأول من أيار/ مايو، 1969، 8.

وعَلَامَ أَفْنِي جِدَّتِي وعَلَى أَبْوَابِ رِزْقِي المُرْتَجَى رَصَدُ؟!
أَسْعَى وَرَاءَ الرِّزْقِ مُجْتَهِدًا والدَّهْرُ في الحِرْمَانِ يَجْتَهِدُ
وأَجُوبُ أَطْرَافَ البِلَادِ، ولَا يَدْرِي بِمَا في مُهْجَتِي أَحَدُ
ما إِنْ ذَرَفْتُ الدَّمْعَ في بَلَدٍ إِلَّا وَحَنَّ لِمَدْمَعِي بَلَدُ[5]

لا يخفى ما في هذه المُقَطَّعَة من معاناة كابدها سمعان في تحصيل رزقه، فهو جزءٌ من الصورة النمطيّة المعبّرة عن معاناة المهاجرين الذين لم يسعفهم القدر أمام نوائب الدهر وحدثانه، ما دفعهم إلى العودة بنفوسهم وأخيلتهم إلى تراث أمّتهم والتغنّي به تارةً والعمل على بعثه تارةً أخرى.

في العاشر من أيّار سنة 1967م غَيَّبَ الموتُ نصر سمعان، تاركًا خلفَه مسيرة اثنين وستين عامًا من مصارعة الحياة، قضى منها خمسةَ عشر عامًا في ربوع الوطن، وبقيّتها عاشها في البرازيل غريبًا معذّبًا يتجرّع غصص الغربة، ويشْرَقُ بألم الحنينِ إلى التراث التليد.

2–نشاطه الأدبيّ في مهجره:

للحديث عن النشاط الأدبيّ لدى نصر سمعان وذهابه في نهج الأدبِ مذهبَ الشاعر الممسك ناصية فنِّه، لابدَّ من الوقوف أوّلًا على نشاط المهاجرين في أمريكا الجنوبيّة، وفي البرازيل بشكل خاصٍّ، لأنّه جزءٌ منهم، وأسهم في تثبيت دعائم النشاط الأدبيّ والخيريّ في المهجر الجنوبيّ.

حرص المهاجرون من بلاد الشّام –ومنهم الحمصيون– على التمسُّك بما ألفوه من عادات ثقافيّة واجتماعيّة خيريّة ألفوها في بلادهم الأصليّة، وتغنّوا بمدينتهم ومرابعها التي نشؤوا فيها، فبثّوها أشواقهم، وأودعوا كثيرًا من أشعارهم نفثاتهم وحنينهم إليها، وهذا كلّه دفع أعلامهم إلى تأسيس نوادٍ وملتقيات تجمع لواءَهم في المهجر الجنوبيّ، ليحيوا ذكرياتهم ويمجّدوا أوطانهم، وكانت تلك النوادي ذات صبغةٍ وطنيّة وإنسانيّة احتفلت بالجميع[6].

لقد كان لمهجريّي حمص نشاطٌ أدبيٌّ مميّزٌ، تجلّى في إنشاء النّادي الحمصي في سان باولو عام 1920م، الذي كان نصر سمعان أحدَ أهمّ روّاده ومعتلي منبره إلى جانب الأديب المرموقِ نظير زيتون[7]. ولعلّ ما جعل نصر سمعان في مقدّمة خطباء النّادي الحمصي والمحافل الأدبيّة الأخرى المشهورة [8] خلقه الرفيع وأدبه الجمّ ودماثة طبعه، فضلًا عن إبداع شعريّ متميزٍ، وتقدير لأعمال الأخرين، وصدق في تقريظهم والوفاء لهم[9]، ولم يكن ليفوّت مناسبة من دون أن يُدْلي بدلوه فيها، ومن ذلك ما قاله في أثناء تدشين المقرّ الجديد للنّادي الحمصي وهو شاعره – «أكبر الأندية العربيّة في المهجر»[10] – في سان باولو، يقول: «إِنْ يكن هذا النّادي، الذي هو منبر الأحرار، موسومًا باسمنا الصميم ومنتسبًا إلى وطننا الكريم، فإنّهُ – ولاريب – أَثَرٌ خالدٌ على أرض هذه البلاد المضيافةِ، ناطق بعرفاننا الجميل؛ ولم نكن قطُّ ممّن يجحدون الجميل...

5 قمحية، أحمد، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 123.
6 قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، 21-22.
7 قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، 39.
8 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، دار المعارف، د.م.، ط3، 1977، 531.
9 قمحية، أحمد، **ديوان الشاعر المهجري نصر سمعان**، 28.
10 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 532.

(يقول):

يا بَرَازِيلُ يا بَلادَ العُلَا يا مَوْطِنًا شَعْبُهُ الكَرِيمُ جَوَادُ
نحنُ أَحْرَارَ أُمَّةٍ تَتَهَادَى تَحْتَ أَعْلَامِ مَجْدِهَا الأَمْجَادُ»[11]

وله أشعارٌ كثيرة في النّادي الحمصي الذي إذا ما ذُكِرَ؛ فيعني أنّنا نتكلّم عن «الصفوة المُثَقَّفَة من رجال العلم والمال في أوساطنا المغتربة»[12]، وفي العصبة الأندلسيّة التي كانت أبرزَ نشاطٍ أدبيٍّ لأبناء المهجر الجنوبيّ التي أسّسوها في كانون الثاني عام 1933م، وكان نصر سمعان أحد مؤسّسيها، إلى جانب ثلّة من الأدباء المرموقين أمثال ميشال معلوف ونظير زيتون، وداود شكور وغيرهم[13]، وهي التي حملت على كاهلها إقامةَ حفلات التكريم الأدبيّة واللقاءات الشعريّة التي خلّدت ذكرَ الأهل وعبق الوطن في المغترب، والاحتفال بالمناسبات المختلفة، وكان نصر سمعان نواةَ هذه اللقاءات وفارسها المجلّى الذي شارك في الحركة الصحفيّة لعلمه بأنَّ «الصحافة الأدبيّة والمنتديات الاجتماعيّة في سان باولو كانت تستقطب النشاطَ الأدبيّ، وتسدّ شيئًا من ذلك الفراغ خلال تلك الفترة»[14]، مثل العصبة الأندلسيّة التي وُلدتْ من رحمها بعد عامين فقط على تأسيسها، مجلّتها التي وسمت باسمها، فتولّى «رئاسة تحريرها الأديب حبيب مسعود»[15]، وكان نصر سمعان برفقة ثلّة من الشّعراء والأدباء من أبرز أعضائها ومدوّنيها[16]. و»بصدور هذه المجلة سنة 1935م، دخلت العصبة الأندلسيّة مرحلةً جديدةً من النشاط الأدبيّ، وغدت ذات منزلة رفيعة في مضمار الحياة الأدبيّة ليس في البرازيل فحسب، بل في أرجاء الوطن كافّة، وتهافت الأدباءُ على الانتساب إليها، فتكامل عقدها بأعلام جدد، في مقدّمتهم شفيق معلوف الذي كان له الفضل في استئناف صدور المجلة بعد توقّفها أوَّل مرة»[17] سنة 1941م، بسبب إصدار رئيس البرازيل أمرًا يحظر فيه إصدار أي صحيفة أو منشور في غير لغة البلاد الرسميّة، ثمّ عاودت نشاطَها سنة 1947م بهمّة شفيق معلوف وبذله السَّخي[18].

أليس في ولادة العصبة الأندلسيّة ومجلّتها الرّائدة ما يدلّ على نشاطٍ فعَّالٍ لنصر سمعان، وهو أحد أهمّ مؤسّسيها وروّادها الأوائل، الذين أغنوا مجلّتَها بأشعارهم التي تفرّدت بها دون غيرها من المظانّ، علاوةً على منشوراتهم النثريّة، بلى، إنّه كذلك بلا مواربة، وإلّا كيف كانوا يطلقون عليه «خطيب الأندية والمحافل»[19]، وهو الذي ينبري ليعتلي المنبرَ في كلّ مناسبة، ليعبّر عمّا يجول في نفسه من شعور مُتَشَظٍّ بين نوازع قوميّة واجتماعيّة وإنسانيّة ووجدانيّة، لهذا نجد في شعره موضوعاتٍ عديدةً أسبغ عليها بعضًا من ذوقه الفنّي الذي بقي متشبثًا بتراث الماضي البعيد؛ لأنّه مبعث الأمة من ربضتها، وإيقاظها من كبوتها، فما هو هذا التراث الذي اتكأ عليه سمعان.

11 قمحية، أحمد، **ديوان الشاعر المهجري نصر سمعان**، 26.
12 الحرّ، شكر الله، **نصر سمعان**، 8.
13 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 28. قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، 33.
14 الدقاق، عمر، **الحياة الأدبية في المهجر البرازيلي**، العصبة الأندلسية، مجلة المعرفة، العدد (80)، السنة السابعة، دمشق، 1968، 42-43. قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، 31.
15 خفاجي، محمد عبد المنعم، **قصّة الأدب المهجري**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط. 1986، 94. الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 29.
16 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 28.
17 قمحية، أحمد، **حسني غراب حياته وشعره، دراسة نقدية تحليلية**، دار الإرشاد، حمص، سورية، ط1، 2019، 43.
18 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 29. قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر المهجري**، 36 .
19 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 531. قمحية، أحمد، **عتبات النص في ديوان الشاعر المهجري**، 36 .

3- التراث ومفاهيمه:

يعدُّ التراثُ من القضايا التي برزت الى الواجهة في بداية القرن التاسع عشر، فشكَّلَ نقطة تحوّلٍ لدى العديد من المفكّرين والمشتغلين بحقول المعرفة الإنسانيّة، وتباينت منه المواقفُ، وكيفيّة الإفادة منه، وتحوّل إلى قضية إشكاليّة؛ لأسباب كثيرةٍ، كان من أبرزها ولادةُ مناهج نقديّة حديثة واكبت تطوُّرَ الحياة في الغرب إبَّان الثورة الصناعيّة التي انعكستْ تأثيراتُها في جوانب الحياة المتعدّدة، وعوامل أخرى دعت أصحابَ الشّأن المعرفيّ للوعيّ بضرورة الوقوف عند مفهوم التراث؛ لتطوير نُهُج الحياة وتخليص الإنسان العربيّ من عهودٍ كانت مظلمةً، إذ لابدَّ من رسم ملامح المرحلة القادمة؛ بعد أنْ مرّت الأمّة مراحل داجية.

ولعلّه من المفيد عرضُ تصوّرات بعض أصحاب الشّأن المعرفيّ للتراث الذي عُرِّفَ بأَنَّهُ: «كلُّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضيّة موروث، وفي الوقت نفسه قضيّة معطى حاضر على عديد من المستويات»[20] فهذا تصوّرٌ يُبْنى على العمل وتوجيه سلوك الإنسان لإعادة بنائه من جديد، فليس ثمّة قيمة لما هو قديم من الماضي ما لم يؤسّس ركائزَ عمليّة تطوّر الإنسان، ويزيل معوّقاته، ويفتح أمامه أفقًا واسعةً للانطلاق نحو الأمام. ومن جانب يوسَّمُ بأَنَّهُ «العقيدة والشريعة، واللّغة والأدب، والعقل والذهنيّة والحنين والتطلّعات، وبعبارة أخرى إنّه في آنٍ واحد: المعرفيّ والأيديولوجيّ وأساسهما العقليّ وبطانتهما الوجدانيّة في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة»[21]. أمّا هذا التعريف فواسع من جانب، وضيقٌ من جانب آخر، أمّا الواسع: فهو يشمل منتج الأمّة العربيّة الإسلاميّة بكلّيته، وأمّا الضيق فيقتصر على منتج الأمّة العربيّة الإسلاميّة دون غيرها من الأمم وكأنّ التراث مقيّدٌ بأروقة الثقافة العربيّة والإسلاميّة فقط، وهو ليس كذلك، و عُرِّفُ أيضًا بأنّه: «ذلك المخزون الثقافيّ المتنوّع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشتمل على القيم الدينيّة والتاريخيّة والحضاريّة والشعبيّة بما فيها من عادات وتقاليد، سواء أكانت هذه القيم مدوّنة في كتب التراث العتيقة أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة، أو مكتسبة بمرور الزمن، وبعبارة أكثر وضوحًا: إنّ التراث هو ذاك الماضي الذي يسكن الإنسان الذي يحيا به بروح المعاصرة، وتموت شخصيّته وهويّته إذا ابتعد عنه أو فقده؛ لذلك نرى الإنسان —العربيّ بصفة خاصّة– يتمسّك بتراثه بصورة أو بأخرى، سواء في أقواله أو أفعاله»[22]. وأثر عن د. نعيم اليافي قوله عن التراث بأنّه: «كلّ ما مضى من قيم ووصل إلينا حيًّا أو ميّتًا فهو تراث، ونميّز فيه بين نمطين ما وافق عصره وصلح له وانقضى بانقضائه، وما وافق الإنسان واستمر به لمصلحته وعاش حتى الوقت الراهن»[23]. وفي هذا التّعريف تفريق بين الحيّ والميّت من التراث، وإذا كان التراثُ وسيلة لتطوير الحاضر وفق سيّد حنفيّ[24]، فليس كلّ ما في التراث قابلًا ليكون وسيلةً للتطوير، لأنَّ ثمّة أشياء ماتت وانتهت ولم تعد ملائمة لما يعيشه النّاس اليوم، ولاسيما أنَّ مناهج فكريّة ونقديّة ولدت في أوربا لتواكب تطوّر الحياة وسيرورتها. ويرى د. اليافي أنّ فروقًا بيِّنَةً بين التاريخ والتراث، فكلّ ما ينسب إلى الماضي تاريخٌ، وأمّا ما بقي

20 حنفي، حسن، **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط4، 2017، 15.

21 الجابري، محمد عابد، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، 24.

22 إسماعيل، سيد علي، **أثر التراث العربي في المسرح العربي المعاصر**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط.، 2017، 39.

23 اليافي، نعيم، **أوهاج الحداثة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.، 1993، 50.

24 حنفي، حسن، **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم**، 15.

من التاريخ في الحاضر فهو تراث، فالتراثُ في رأيه ما بقي حيًّا من التاريخ[25]. وعليه يمكننا القول: إنَّ التراث كلُّ ما بقي حيًّا من نتاج الماضي البعيد لأمّةٍ من الأمم، من معرفة وفنون وآداب وعلوم وقيم وخبرات وأفكارٍ وتجارب وتقاليد، تفيد منه الأمم اللاحقة؛ بحيث لا يخرج عن إطار الموروث في أصله اللّغوي، وهو ما نبَّه عليه جبور عبد النور بقوله: «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات، وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزءٌ أساسيٌّ من قوامه الاجتماعيّ والإنسانيّ والسياسيّ والتاريخيّ والخلقيّ، ويوثّق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه»[26].

لقد تعدّدت تعاريف التراث ومفاهيمه ونظرة النقّاد إليه؛ لتباين معتقداتهم الفكريّة واختلاف توجّهاتهم النّقديّة، ولا شكّ أنَّ وقوع مثل هذا الاختلاف مردُّهُ إلى كثرة المناهج النقديّة الحديثة وأدواتها، التي تتبع مناحي التفكير تجاه قضايا الحياة المتشعّبة؛ ما يجعل ثباتَ المفاهيم واستواءَها على نحوٍ واحدٍ أمرًا صعبًا؛ لأنّ الحياة وما تتطلبه من معايير وأنظمة في تطوّرٍ مستمرٍ.

4–تفاعل نصر سمعان مع التراث:

طفا –في ظل الأحداث التي عصفت بالمجتمع العربيّ عامّةً– إلى السطح المفهوم القوميّ طُفُوًّا لافتًا، وارتبط بحركة إحياء التراث العربيّ، إبَّانَ جراحٍ نتج عنها آلامٌ انحدر بها المثقّفُ العربيّ إلى حالةٍ من الركود، امتدّت أجيالًا، فباعدت بين النّاس وثرواتهم الفكريّة، ممّا جعلهم يعيشون تأخُّرًا كبيرًا، ومع انتشار الوعي بالذات والإيمان الكامل بها، النّاتج عن انتشار مؤثّرات تنويريّة عديدة، برزت ضرورة إحياء التراث العربيّ[27]، فانفتحت آفاقٌ لقراءة هذا التراث بهدف الابتعاد عن الجدليّة والمبارزة بين القديم والجديد، وإضفاء علاقة تفاعل تهدف إلى الإفادة من طاقاته الإيحائيّة الباعثة على التجدّد وبثّ الحياة في عروقٍ جامدة. وهو ما دأب عليه نصر سمعان الذي رأى أنّه ما من خلاصٍ لحال الضعف والتفكّك التي تعيشها الأمّة إلّا بالمحافظة على الهويّة والانتماء للقوالب العربيّة الخُلَّص،فاستلَّ منها ما كان «يوافق تجربته ويتراسل مع همومه وقضاياه، وأن يوظّفه للتعبير عن هذه القضايا، فيحقّق بذلك هدفًا مزدوجًا بحيث يمنح تجربتَه نوعًا من الأصالة والشمول عن طريق ربطها بالتجربة الإنسانيّة في معناها الشامل، ومن ناحية أخرى يثري هذه المعطيات بما يضفيه عليها من دلالات جديدة ، ويكسبها حياة جديدة»[28]. وقد لاحت في شعره، كما في شعر أقرانه من أتباع المدرسة الإحيائيّة، «مياسم الشّعر العربيّ القديم ... على الأصعدة الفنيّة والموضوعيّة، وهي وإن كانت مسوّغة فنيًّا، لكنها ليست كذلك من جهة الأغراض»[29]. وما الرموزُ التي استحضرها نصر سمعان إلّا بعضًا من دليل دامغ على الاحتفاء بالشّعر القديم أو التاريخ وغيرهما.

نظر نصر سمعان إلى التراث نظرةَ كيانٍ مستقلٍّ تربطه به وشائج تاريخيّة مع تقديرٍ لقيمه الذاتيّة والإنسانيّة،

25 محمد، أحمد علي، **الدكتور نعيم اليافي**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، وزارة الثقافة، د.ط.، 2018، 26.
26 عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، 63.
27 إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية**، دار الفكر العربي، د.م.، ط3، د.ت.، 23.
28 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.، 1997، 59.
29 الحسين، أحمد جاسم، **الأدب العربي الحديث والتراث تحولات العلاقة وخصوصيات الأجناس**، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 102، 2006م، 130، ص122 – ص152.

فلم يرتدّ إليه ردّةً تامّة، كما صنع أصحابُ مدرسة الإحياء الذين انكبّوا على التراث بكلّ ما فيه محاكين ومقلّدين شكلًا ومضمونًا مع محافظتهم على وحدة البيت والقافية وبناء القصيدة[30]، كما لم يُعْرِضْ عنه كلّ الإعراض، بل اتّخذ موقفًا متوازنًا، شأن أقرانه من أبناء العصبة الأندلسيّة، التي بدت كتيّارٍ متمسّكٍ بالتراث على الرغم من معاصرة منتسبيها لنشوء المذهب الابتداعيّ الرومانسيّ، ولعلّ أبرز تجلٍّ للتفاعل مع التراث تبدّى لدى نصر سمعان في تقليد القديم شكلًا دون المضمون، وفي المحافظة على بعض خصائصه وصوره البلاغيّة والأسلوبيّة التي تناسب تفكير المجتمع، وهاهنا أسوق أبياتًا من قصيدته عروسة البحر، يقول:

يُلْقِي النَّسيمُ عَلَى خَدَّيْكِ قُبْلَتَهُ ... والبَحْرُ بالغَيْرَةِ الهَوْجَاءِ يَسْتَعِرُ
وَلْهَانُ يَلْطُمُ صَخْرَ الشَّطِّ مُنْتَحِبًا ... كَأَنَّهُ عَاشِقٌ في البَابِ يَنْتَظِرُ!
حَتَّى إذا بُدِّدَتْ آمَالُهُ ومَضَى ... لاحَتْ عَلى الصَّخْرِ مِنْ لَطْمَاتِه حُفَرُ
سَلِيه كَيْفَ تَهَادَى يَوْمَ ظَلَّلَهُ ... مَجْدٌ عَلَى مَفْرِقِ الحَمْرَاءِ مُنْتَشِرُ
أَكُلَّمَا ذُكِرَتْ غَرْنَاطَةُ الْتَفَتَتْ ... إلى مَرَابِعِهَا الشُّطْآنُ والجُزُرُ؟!
سَلِيه عَنَّا وعَنْ أَسْلَافِنا خَبَرًا ... نَحْنُ الَّذِينَ انْدَثَرْنَا لا هُمُ انْدَثَرُوا
ساقَتْ عَلَيْنا اللَّيَالي كُلَّ نَائِبَةٍ ... وأَوْشَكَ الدَّهْرُ يَنْسَى أَنَّنا بَشَرُ
تِلْكَ البَدَاوَةُ حيًّا اللهُ غَابِرَهَا ... اليَوْمَ تَبْكِي عَلى أَيَّامِهَا الحَضَرُ
قَالُوا: الفَصاحَةُ قُلْنا: لابْنِ سَاعِدَةٍ ... قَالُوا: العَدَالَةُ، قُلْنا: تَاجُهَا عُمَرُ
قَالُوا: سَمِعْنا مِنَ الفَيْحَاءِ حَشْرَجَةً ... قُلْتُ: التَّضامُنُ في الفَيْحَاءِ يُحْتَضَرُ
اللهَ في وَطَنٍ عَانٍ يُفَجِّعُهُ ... ما هَدَّمَ الأَهْلُ لا ما هَدَّمَ القَدَرُ
ما كَانَ أَبْعَدَهُ عَنْ خَاطِرِي وَطَنًا ... لَوْلا ثَرًى بِدَمِ الأَحْرارِ مُخْتَمِرُ[31]

بعد بزوغ المذهب الرومانسيّ بدأت موضوعات تطرق البابَ مثل المرأة والطبيعة والروح والتأمّل الذاتيّ التي باتت شاغلًا رئيسيًّا. واتّضح هذا في المعجم اللغويّ الذي كوّنه سمعان، والموقف الصّارم الذي اتخذه من اللّغة فنجده حافظ في نصِّه السّالف على لغة القصيدة الكلاسيكيّة وقالبها في نسج تراثيٍّ محضٍّ، فأخذ بزمام نفسه كي يعيشَ بالتراث لا أن يعيش فيه، فنراه يستحضر مجدَ قصر الحمراء في غرناطة، والأجدادَ العظامَ –بني الأحمر– يوم كانوا، وحياةَ البداوة التي احتفلت فيها القيم النبيلة التي افتقدتها حياة المدن والحواضر في القرن الماضي، ثم يقف عندَ بيان اللّغة وفصاحتها، فيقفز إلى ذهنه قسّ بن ساعدة الإياديّ في الجاهليّة، وعدالة عمر بن الخطاب في صدر الإسلام، لما لهما من أثرٍ عميقٍ في نفوسنا حتّى غَدَوَا مضربَ المثل، كلٌّ في بابه. ودائما كان سمعان يعلي من شأن الفرد، فيعدّه نواةَ البناءِ الأولى في المجتمع، وبه يقوى ويضعف، ولهذا ذكر التضامن الذي يُحتَضَرُ في دمشقَ، في إشارة منه إلى تفكّك بعض عرى المجتمع، وألقى باللوم على أهله لما هدموه في وطنه. في تلميح منه إلى عدم حماية الأقليّات التي ينتمي إليها الشاعر.

أدرك سمعان في أثناء عيشه في المهجر الجنوبيّ ما مرَّ على أبناء أمّته من ويلات متعدّدة، فشرع بالتأثير

30 الحسين، أحمد جاسم، **الأدب العربي الحديث والتراث تحولات العلاقة وخصوصيات الأجناس**، 130.
31 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر المهجري نصر سمعان**، 160.

في وجدان الناس الموشّعة بالألم والانكسارات، لشحذ هممهم، وبثّ روح الأمل فيهم، فاستعان بتلك الرموز التراثيّة المقدّسة لدى أبناء قومه يذكّرهم بأفصح رجلٍ عرفته العرب، وبأعدل خليفة عرفه التاريخ؛ لأنَّ «الشّاعر يتوسّلُ إلى إيصال الأبعاد النفسيّة والشعوريّة عبر جسورٍ من معطيات هذا التراث، فإنَّه يتوسّل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعاليةً وقدرةً على التأثير والنَّفَاذ، هذا إضافةً إلى أنَّ استخدامَ الرموز التراثيّة يضفي على العمل الشّعريّ عراقةً وأصالةً»[32]. ولم يلجأ سمعان لهذه الرموز إلّا لأنّ لها صفةَ النموذجيّة والصيرورة لكلّ زمان؛ وعلاوة على أنّها حاضرة في نفوس أهلها، هي موجودة في الضمير الإنسانيّ. وقد تبدّت لنا الأشكال التراثيّة التي تحضَّرها سمعان في شعره بأشكال متنوّعة، فتوزّعت بين شخصيّات متنوّعة، ومدن، ومعانٍ قيميّة ذات بعد إنسانيّ وتاريخيّ، ومواقف وحوادث كبيرة.

5- بواعث رَدَّته إلى التراث:

أميل إلى الاعتقاد بأنَّ ثمّةَ بواعث دعتْ الشّاعر للاندفاع وراءَ الرموز التراثيّة التي لا تفتأ تحوك في نفسه؛ لأنَّ «هناك ارتباطًا بين الشّاعر ومأثورات الماضي التي تدور في نفسه، ثمَّ محاولة وعي الشّاعر بذاته وموضعه في هذا الإطار (متى أعي ذاتي)، ثمَّ هناك أخيرًا ... استشراف المستقبل لغاية السعيّ الإنسانيّ كلّه[33]، وعليه لابدَّ من ردّة للماضي يتوسّل بها الشّاعر لتوضيح فكرة بهدف التأثير في ضمير المجتمع، أو لجلب غايةٍ في نفسه، أو رسم طريق للمستقبل، فيمكن إرجاع هذه الردَّة لدى سمعان إلى بواعث ثلاثٍ.

5-1- **بواعث ذاتيّة**، ويمكن ردّ هذه إلى مسوّغين:

الأوّل: لقد أدرك نصر سمعان ثراءَ التراث وامتلاءه بنماذج فنيّة، تُزَوِّدُ تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير؛ لأنّ الرموز التراثيّة تمتلك مقوّمات الحضور الدائم في وجدان الأمّة والضمير الإنسانيّ عامّة[34]، ولعلّه من الاعتدال بمكانٍ أن «نجد الشّاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه»[35]. فتعينه على إيصال صوته للمتلقي، وهو ما حدا بسمعان إلى استدعاءِ الشخصيّات التراثيّة التي غدت أنجع الوسائل وأشدّها تأثيرًا في نفوس المتلقّين[36].

الثّاني: انعطاف ميل سمعان إلى ما يدعى بالموضوعيّة والدراميّة اللّتين صبغتا شعريّته، فشرع يستخدم تقنيّات فنيّة كالقصِّ الشّعريّ، والتكثيف [37].كما استخدام بناءَ الصّور المتحرّكة التي تعتمد التراتبيّة في تماسك مشاهد النصِّ الحركيّة، كما في داليته (فاعجب لجرح بالحسّام يضمَّدُ)[38]. ومن بين ما استخدمه سمعان بكثرةٍ كاثرة الشخصيّات التراثيّة كمعادل موضوعيّ لتجربته الذاتيّة، اتّخذها قناعًا اختفى خلفه ليعبّر عن آرائه[39].

32 زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مطبعة ابن سينا، القاهرة، مصر، ط4، 2002، 121.
33 إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية**، 308.
34 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 16.
35 إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية**، 307.
36 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 16.
37 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 259 وما بعدها.
38 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 128 وما بعدها.
39 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 21.

5-2- *بواعث سياسيّة وقوميّة*

يشكّل التراثُ أرومةً متينةً تستند إليها كلّ أمّةٍ تواجه عوامل ذوبان وجودها القوميّ أو العقديّ، فتمتصُّ من تلك الأرومة ما يعزّز بقاءَها، ويكشف عن يقينٍ ثابت بأصالة محتدها وعمق جذورها[40]. وهو ما ألمح إليه نصر سمعان الذي ما فتئ يتعرّض للوجود الفرنسيّ وجرائمه في تبديد الهويّة العربيّة في بلاد الشّام، في قوله:

أَلَمْ يُشْبِعْ هَوَى (مَرْتِيلَ) عَهْدٌ طَوَاهُ (سِرْيَلٌ) [41] بِدَمٍ ونَارِ[42]

في قصيدة يفتضح فيها جرائمَ الفرنسيّين أيّام احتلالهم بلاد الشّام. والأمثلة عديدة في ديوانه[43].

وقد وقع العبءُ على كواهل الأدباء في النهوض بتراث الأمّة؛ لأنّهم لسانها الناطق بخواطرها، ولهذا كان هؤلاء مطالبين أكثر من غيرهم بزرع الثّقة في نفوس النّاس بتراث الأمّة وماضيها، وبالمحافظة على الاتّصال الدائم به، لأنَّ «الأديب الذي يفقد اتّصاله بتاريخ قومه وتراث أمّته، لا يصلح بحالٍ ما أن يعبّر عن وجدانها المعاصر، لأنّ فقدان وعيه لشخصيّتها يجعله أجنبيًّا عنها»[44]، غريبًا عن مكنوناتها الدفينة، فالتراث القوميّ ولاسيما الشخصيّات المؤثّرة في تاريخ أمّة هي من أقوى المقوّمات على بثّ روح الأمل في النفوس عندما تتعرض لخطر كبير يهدد وجودها، لاسيما أَنَّ الذات العربية ذات عاطفية تتأثر بالخطاب الحماسي، فتتفاعل معه بسرعة.

5-3-*بواعث نفسيّة*

لاشكَّ أنَّ البواعث النفسيّة متباينةٌ لدى شعراء المهجر، فلكلٍّ شاعر عالمه الداخليّ وحساسيّته تجاه محيطه الذي انطلق منه في مهجره، وأرى أن مشاعر الغربة من أهمّ هذه البواعث على استحضار نصر سمعان للتراث في نصوصه؛ لشعوره بزيف هذا العالم وتعقيده، وبُعده عن عفويّة الحياة وبساطتها، وهو ما دفعه إلى الماضي ليستنسخ منه ما يحقّق به ذاته المفعمة بالهزيمة والانكسار، فيلجأ إلى شخصيّات ذات حضور كبير كما في قصيدة (الطائر المحكي) التي مجَّدَ فيها المتنبّيَّ لما له من حضور مميّز في الثقافة العربيّة والإنسانيّة جمعاء، فهو دولة الشّعر كلِّه التي ترفلَّتْ بالجلال، بل إنَّ هذه الدولة تغذّي الحياة، فتديمها، ونراه يستحضر رمزي حسّان وبشّار، لتنميق صورة المتنبي أكثر ممّا هي منمَّقة، حتّى إنّه جعل للسماء أحلامًا تجسّدت في تلك الدولة العظيمة، دولة المتنبي، ثم يستدعي هوميروس، وجنَّ وادي عَبْقَر–ملهم الشعراء أشعارَهُم–والكَهَنَةَ الذي عرف عنهم فصاحتهم وسجعهم، وكلّها صفاتٌ جعلها في المتنبي، يقول:

يا دَوْلَةَ الشِّعْرِ تيهي بالجَلال كَمَا تَاهَتْ بِرَبِّكَ آفَاقٌ وأَمْصَارُ
مِنْكِ الغِذاءُ ومِنْكِ الماءُ تَنْهَلُهُ هَذي الحَيَاةُ، ومِنْكِ النُّورُ والنَّارُ

40 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 39.
41 مرتيل: هو الكونت داميان دو مرتل، المفوض السامي الفرنسي على لبنان من سنة 1933م إلى سنة 1939م. و (سريل) هو موريس بول إيمانويل، المفوض السامي على لبنان من سنة 1924 إلى سنة 1925م.
42 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 172.
43 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 118، 144–146.
44 عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطئ)، **قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1970، 165.

إذا لَهَجْنا بحَمْد الأَنبيَاء فَما يُنْسَى مِنَ الحَمْد حَسَّانٌ وبَشَّارُ
تَجَسَّمَتْ فيكَ أَحْلامُ السَّماءِ وفي بُرُودها مِنْ فُؤَاد الله أَسْرارُ
هُوميرُو أَغْنَى اللَّيَالي عَنْ كَوَاكِبهَا بما تَمَنَّتْهُ أَلْبَابٌ وأَبْصَارُ
وبَابِلِيَّتُكَ الصَّهْباءُ تَسْكُبُهَا مِنْ جِنِّ عَبْقَرَ كُهَّانٌ وسُحَّارُ[45]

أما عن تشبيه شاعريّة المتنبي بالخمرة البابليّة الصافية التي لم يداخلها الماء، وكأنَّ صفاءها هو نفسه صفاء لغته التي لم يشوبها اللحن أو الخطأُ؛ فعائد إلى عمق ثقافة سمعان ووسعتها، فهي تمتدّ لأكثر من تراثٍ كما يبدو؛ لإغناء تجربته، وليس كما ذهب بعضُ النقّاد الذين عابوا على من لم يستعن بتراثه العربيّ، واستظلّ بظلّ الرموز اليونانيّة وغيرها، بحجّة افتقار هذا التراث لمثل هاتيك الرموز، ولغربة هذه الرموز عن وعي الجمهور الذي انقطعت صلته بها منذ زمن بعيد[46]. وهذا ممّا يردُّ عليه من جوانبَ:

أوّلها: استدعاء شخصيّة المتنبي والاستعانة بها والوقوف على بعض سماتها دليل دامغ على غنى تراث العربيّة بالرموز العزيزة، وهذا لا يحتاج إلى دليل بقدر ما يحتاج إلى النظر في المكتبة العربيّة حتّى نحصي الواقفين على أشعاره شرحًا ونقدًا أمثال ابن جنّي والعُكْبَريّ.

ثانيًا: انفتاح نصر سمعان على الموروث اليونانيّ، لأنّه تراث إنسانيّ متحت منه ثقافات إنسانيّة وأفادت.

ثالثًا: لإنصاف المتنبّي وتذكير الأمّة بقدره الذي يوازي أعرق شاعرٍ إغريقيّ (هوميروس)[47]، في لغته المشعّة التي تشبه لغة بابل في عمرها الطويل، وجودة سبكها ومتانة تراكيبها واتساع دلالات ألفاظها، فدوّنت لأكثر من ثلاثة آلاف عام، حتّى القرن الأوّل قبل الميلاد، وكأنّها لإحكامها تُستَلهم من وادي عبقر السحيق ملهم الشّعراء أشعارَهم[48]. ولست في معرض المقارنة بين هوميروس في ملاحمه وبين المتنبي في غنائيّاته التي لا تقلّ جودةً عن الملاحم، كلٌّ منهما في بابته، لأنّ المقارنة ضرب من التعسّف، ولكنَّ هوميروس ناصية في الشّعر الملحميّ كما المتنبي رأس في الشّعر الغنائيّ.

لقد نظر الشعراءُ إلى تلك العلامات المتباينة المستمدّة من غير تراثٍ وغير مصدرٍ على أنّها وسائل يعبّرون بواسطتها عن أفكارهم التي كثيرًا ما تعجز الأساليبُ الشّعريّة العاديّة عن التعبير عنها، فكيف استلهم نصر سمعان تلك العلامات، وما هي أشكالها في ديوانه؟

6- استلهامه للتراث وتوظيفه له:

أكثر ما توكأ عليه سمعان في تجربته الشعرية الشخصيّات التراثيّة التّاريخيّة والأدبيّة والدينيّة، وبعض الأحداث الرئيسة الحاضرة في ضمير الأمّة إضافة إلى الشخصيّات الأسطوريّة.

45 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 156.
46 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 183.
47 هوميروس من أعرق شعراء الإغريق، وكاتب الملحمتين الشهرتين الإلياذة والأوديسة، وقام بتخليد حرب طروادة شعرًا، ويعد ينبوع الشعر الإغريقي وذروته الفنية.
48 الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، د.م.، د.ط.، د.ت.، ج13، 513.

6-1-استلهام الشخصيّات التّاريخيّة

استطاع سمعان استحضارَ بعض الشخصيّات التّاريخيّة في نصوصه، موظّفًا إيّاها توظيفاتٍ متباينة، من مثل استحضار شخصيّة صلاح الدين الأيّوبي وهارون الرشيد في معرض مدح جمال عبد النّاصر، الذي مثّلَ رمزَ الوحدة العربيّة آنذاك، وهو يدعو للمِّ شملِ العرب وتجاوز الحدودَ المصطنعة التي لا يمكن لها أن تفرّقهم، يقول:

تُوَحِّدُنَا العَوَاطِفُ والأَمَانِي وَحَاشَا أَنْ تُفَرِّقَنَا الحُدُودُ
يَقُودُ صُفُوفَنَا حُرٌّ أَبِيٌّ إِلى غَيْرِ المَكَارِمِ لَا يَقُودُ
عَميدٌ هَبَّ واقْتَنَصَ المَعَالِي بِوَثْبَتِه، فَقُلْ: يَحْيَا العَميدُ
تَأَلَّقَ نَجْمُهُ الزَّاهِي فَقُلْنَا صَلَاحُ الدِّينِ عَادَ أَمِ الرَّشِيدُ؟[49]

لم تبرح قضايا العروبة خيال الشّاعر، وإلّا لمَا «لَمَعَ اسمه بين أكبر شعراء الوطنيّة في المهجر الجنوبيّ»[50]، حتى لُقِّبَ بشاعر العروبةِ الذي لم يترك شميلةً إلّا وأسبغها على أبناء قومه الذين قلّما ندَّتْ عن ذكرهم قصائدُه[51].

استدعى شخصيّةَ صلاح الدين ليعيد إلى ذاكرة النّاس فكرة المُخَلِّص أو المنقذ البطل الذي يتشوف الناس للانضواء تحت رايته؛ للملمة شعث الأمّة وتفرّقها، فيسقطها على شخصيّة جمال عبد الناصر الذي انضوت تحت رايته بعض العرب، وكذا يستحضر شخصيّةَ هارون الرشيد الذي وَطَّدَ أركانَ دولة عظيمة مترامية الأطراف؛ ليبثّ في جيله معاني القوّة والخلاص والاستقرار. ولعلَّ سمعان جنح لشيء من المبالغة في استحضاره لصلاح الدين وهارون الرشيد وإسقاطهما على شخصية جمال عبد الناصر الذي لم يقدم لأمته إلا الشعارات الخاوية، وإن كان ولابدَّ فهو من قبيل التيمّن والتأمُّلِ بما سيكون، وكأنّ المبالغة في إسقاط الرموز التراثية ديدن سمعان، فليس ثمّة وجه للمقارنة أو المقاربة بين ما يستدعيه وبين مَنْ يُسْقط عليه تلك الرموز.

ومن الشخصيّات التّاريخيّة ذات الإرث الثريِّ شخصيّة عبد المطلب بن هاشم الكِلَابيّ زعيم مكّةَ، في أثناء مدحه الحسينَ بن علّي ملك الحجاز آنذاك، يقول:

رَأَى مُسْتَجِيرُوكَ الهَوَانَ فَهَالَهُمْ وإنَّ هَوَانَ النَّفْسِ أَدْمَى المَصَائِبِ
تَرَامَوا عَلَى أَبْوَابِ مَكَّةَ خُشَّعًا وطَالبُ نَصْرِ اللهِ لَيْسَ بِخَائِبِ
وقَدْ ذَكَرُوا إِقْدَامَ جَدِّكَ عِنْدَمَا دَعَا جُثَثَ الأَحْبَاشِ مِلءَ السَّبَاسِبِ[52]

عاد سمعان إلى التراث التّاريخيّ أو الدّينيّ ليغرفَ من معينه شخصيّة عبد المطلب، الذي ترك جثثَ

49 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 132.
50 الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، 531.
51 قمحية، حسان، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، 66.
52 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 74.

الأحابش تملأ الصّحاري يوم أرسل الله سبحانه وتعالى طيرًا أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجيل، ولاشكَّ باستلهام الشّاعر لهذه الشخصيّة، يستلهم الفصاحةَ والشّرف والأصل والسيادة والحلم، الذي لم يؤتَ لغير عبد المطلب، وهو الذي «سُمِّي بأجمع الأشياءِ ولم يسمَّ بالخصلة الواحدةِ، فيستدلّ بذلك على أنّها كانت أغلب خصال الخير عليه»[53]، ليعبّر لنا عن أصالة الحسين بن عليّ وطيبِ محتده وعلوّ شرفه، وكأنّهُ عبد المطلب ذاته في صفاته وشمائله.

وظَّفَ سمعان الشخصيّاتِ التّاريخيّةَ السّالفة توظيفًا عابرًا أو هامشيًّا، فلم تُلْقِ تلك الشخصيّات بظلالها على القصائد التي حضرت فيها إلّا في بيت أو بيتين على خلاف بعض الأنساق الشعريّة التي كانت تلقي بظلّها على القصيدة بتمامها، ممّا يعني أنّها استُدعيت لتحقيق مأْربٍ يخدم السياق العامّ في القصيدة الذي يمسك بأنساقٍ متعدّدة، فعبّرت تلك الشخصيات بحضورها عن مدلولات كثيرة دون أن يصرّح بها الشّاعر، مثلما صنع فيٍ شخصيّة صلاح الدين أو عبد المطلب، وهذا ما ينبئُ بقدرة سمعان على استدعاء ما يغني تجربته في فسحة ضيّقة، وهو ما سنلاحظه في استدعائه للشخصيّات الأدبيّة أيضاً.

6-2- استلهام الشخصيّات الأدبيّة:

كانت أكثر الشخصيّات حضورًا في قصائد سمعان؛ لأنّها أقرب إلى ذاته وتفكيره، و»عايشت التجربة الشّعريّة، ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته ... وفي ذات الوقت من أكثرها طواعية للشّاعر المعاصر وقدرة على استيعاب أبعاد تجربته المختلفة»[54]، فلا عجب أن تكون شخصيّة المتنبّي أكثر الشخصيّات الأدبيّة التي اعتمد عليها سمعان في قصائده، ولعلّ السبب عائدٌ إلى أنّها شخصيّة نادرة متعدّدة الجوانب، ساعدته في التعبير عن الطموح والنباغة والخلود[55] وعلوّ كعب الشّعر، فهو نبيّ الشّعر ودولته كما عبَّرَ في قصيدته (الطائر المحكي) التي أفردها خالصة لتخليد ذكراه[56]، كما ساعدته في التّعبير عن الحكمة والحلم[57]، والانكسار والضعف[58]، والنزعة العربيّة التي كانت تسكن أبا الطيّب، وتجلّت في نماذج كثيرة من الشّعر العربيّ المعاصر[59]. وهوما تفاعل معه سمعان ورمى إليه في غير ما مناسبة.

ومن الشخصيّات الشّعريّة التي حضرت حضورًا هامشيًّا شخصية حسّان بن ثابت، وجرير أحد أقطاب الشعر الأمويّ، ليعرِّف القارئ بمدى شاعريّة الشّعراء الذين يحبِّرُون قصائدهم في مجلة (المراحل)، التي رآها جنَّةً يعانق وردها منثورها، في إشارة منه إلى الشّعر والنثر اللّذين يدوّنان فيها، يقول:

أَنَا مَنْ يَرَى أَنَّ المَرَاحِلَ جَنَّةٌ فَيْحَاءُ عَانَقَ وَرْدَهَا مَنْثُورُهَا
صَدَحَتْ بَلابِلُهَا، فَكُلُّ مُغَرِّدٍ حَسَّانُهَا بِصُدَاحِهِ وجَرِيرُهَا[60]

53 الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424، عدد الأجزاء: 7، 300/2.
54 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 138.
55 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 152، 164، 198.
56 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 155.
57 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 185.
58 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 224.
59 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 138.
60 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 163.

لا يخفى على الحصيف ما للشّاعرين المذكورين من قيمة فنيّة في تراثنا العربيّ، فهما بما يملكانه من درجة مرموقة في سلّم الإبداع الشّعريّ أغريا سمعان بإسقاطهما على شعراء مجلّة المَرَاحِل، التي ينسب إليها كلّ شاعر مِفَنٍّ.

ومن الرموز الخالدة في التراث الأدبيّ شخصيتا عبد الله بن المقفّع وبديع الزمان الهَمَذَانيّ، اللتان عبَّرَ بإحديهما عن الفصاحة، وسلاسة البيان في السّرد، وسعة العلم، وعمق المعرفة، وحدَّة الذكاء وغيرها مما تمتع به ابن المقفع، وبالأخرى عن الإبداع والفرادة في فنّ المقامات المتمايزة من غيرها من فنون الأدب التي بقيت يفيد منها الجمهور حتى عصرنا هذا، ليسقطهما على إبداع الأديب حبيب مسعود وبيانه الرصين ولغته المكينة، أحد أدباء المهجر الجنوبيّ الكبار، وقد ألبسه كلَّ لباسٍ بديعٍ حسنٍ تألفه النّفس وتتمنّاه، يقول:

قَالُوا: (حَبِيبُ)، فَقُلْتُ: كُلُّ عَصِيَّةٍ ... مِنْ عَاصِيَاتِ الضَّادِ طَوْعُ بَنَانِه
هُوَ كُوكَبُ الأَدَبِ الرَّفِيعِ بِنَاؤُهُ ... وَهُوَ المَكِينُ الفَخْمُ مِنْ أَرْكَانِه
تَزْهُو بِهِ الغُرَرُ الحِسَانُ كَمَا زَهَتْ ... بـ (ابنِ المُقَفَّعِ) أَو (بَدِيعِ زَمَانِه) [61]

من المعاني التي وطَّن النقّاد العرب قديمًا وحديثًا عليها نفوسهم فرادةُ أدب الأديبين المذكورين آنفًا، وعلوّ مراتبهما في سلّم الفنّ الرفيع، وهو ما أسقطه الشّاعر على أدب ممدوحه الذي علَّا أدباء المهجر جميعهم.

استطاع سمعان توظيفَ شخصيّاته الأدبيّة في سياقاتها، التي صارت جزءًا من بنية النّصّ الشّعريّ المحكوم بالعلاقة الجدلية التفاعلية بين النُّسُق التراثية والسياق العام للنّصّ.

6-3- استلهام التراث الدينيّ

كان التراثُ الدينيّ، ولاسيّما الإسلاميّ منه بئرًا متح منها سمعان، ما أعانه على إغناء تجربته، وليبعث في أبناء جلدته روح الأمل مستعينًا بالجانب الدينيّ الموجود في ضميرهم، فكثيرًا ما استدعى شخصيّات الأنبياء، كما فعل أقرانه —من الغرب– لإيصال رسائله الشّعريّة المتعدّدة[62]. ويمكن تقسيمُ الشخصيّات الدينيّة لديه كما يلي:

6-3-1-شخصيّات الأنبياء:

هي من أكثر الشخصيّات التراثيّة استدعاءً، ولعلَّ هذا الأمرَ عائدٌ إلى الرابط الخفيّ بين تجربة كلٍّ من الشّاعر والنبيِّ؛ فكلاهما صاحب رسالةٍ، مع النظر إلى مصدر كل رسالةٍ وخصائصها ومضمونها، وفروق أخرى ليس هاهنا مناقشتها.

جاءت شخصيّةُ النبيّ محمّد في الطليعة عندَ نصر سمعان، لأنَّها شخصيّة متعدِّدة الدّلالات والتّجارب، فهي إن صحّ القول: «رمزٌ للإنسان ... سواءٌ في انتصاره أو في عذابه»[63]. وقُلْ أبعدَ من هذا كمثل قصيدته

61 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 273.
62 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 138.
63 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 78.

(نبيّ قريش)، التي استدعى فيها سمعان شخصيّة النّبيّ محمّد (ص) فيستشعر أنَّه مخلّص الأمّة من ضعفها النازل بساحتها، أو أنّه ازدهارُ الماضي البعيد وإشراقهُ في مقابل خفوت الحاضر واضمحلاله، وذلك بعرضه الأسس التي وضعها النبيّ لأمّته بعده، وما شاده من مجدٍ بات هشًّا ضائعًا اليومَ، لتخاذل ورثة ذاك المجد وتفريطهم به، يقول:

نَبِيَّ قُرَيش إنَّ قُرَيْشَ وَلَّتْ ... وولَّتْ أَشْرَفُ النَّزَعَات بَعْدَكْ
فَلَا عُمَرٌ تَرَاهُ ولَا عَليٌّ ... يَقُودُ إلى مَرَاقِي العزِّ جُنْدَكْ
وغَايَةُ مَا تَرَى أَشْتَاتَ شَعْبٍ ... يُرَدِّي فَوْقَ بُرْدِ الحَيْف بُرْدَكْ
أُعيذُكَ أَنْ تَكُونَ رَسُولَ قَوْمٍ ... أَضَاعُوا مَا وَقَفْتَ عَلَيه جُهْدَكْ
فَقُمْ إنَّ العُرُوبَةَ رَهْنُ ضَيْمٍ ... أَطَالَ وِصَالَهُ، وأَطَلْتَ صَدَّكْ
أَبَا الزَّهْرَاءِ رُدَّ لَهَا عُلَاهَا ... فَقَدْ أَبَتِ اللَّيالِي أَنْ تَرُدَّكْ[64]

استطاع سمعان توظيفَ شخصيّة النّبيّ والخليفتين الراشدين عمر وعليّ، توظيفًا عكسيًّا، هو توظيف الملامح التراثيّة للشخصيّة في التّعبير عن معانٍ تناقض المدلول التراثيّ للشخصيّة، بهدف توليد نوع من الإحساس العميق بالمفارقة بين المدلول التراثيّ للشخصيّة والبعد المعاصر الذي يوظّف الشخصيّة في التعبير عنه. كمثل استدعاء شخصية عمر وقوّتها وعدلها في الحديث عن ضعف أصحاب الأمر اليوم، أو استدعاء شخصية سحبان وائل المشهورة بالفصاحة والبيان للحديث عن سقوط العربيّة وضعفها على ألسنة أبنائها[65]؛ وهذا ليبيّن الهُوَّةَ الواسعة بين حال الأمّة قديمًا، وقد كانت تهابها الأمم جميعها، وحالها الآن وقد نخرَ الوهن عظامها وصارت إلى شتاتٍ. ومن كان يخشاها بالأمس، صارت اليوم تطلب ودَّه، ولم يختر شخصيتيّ عمر وعليّ، إلّا لأنّه بحاجة إلى استشعار القوّة والصّلابة في جسدِ أمته التي خارت قواها، فلم نعد نرى من جيوش هذه الأمّة ما كنّا نراه يوم قادها عمرُ أو عليٌّ رضوان الله عليهما، ومثلُ هذا في قصيدة (وانحنى الصبح)[66]، وقصيدة (لن يُطْوى لنا علمٌ)[67]، حيث يعظِّمُ شخصَ النّبيّ في ظلّ انكسار الأمّة وضعفها الذي استشرى في جميع أنحائها، فصارت قصيةً عن العلا والمجد اللّذين كانت تتسوّرهما عقدًا نفيسًا كما في قصيدته (رسول الله)[68].

6-3-2- استلهام النصّ القرآنيّ

لم يفت نصر سمعان أن يوظِّفَ النّصّ القرآنيّ بما يخدم تجربته الشّعريّة، كما في قصيدة (قم يا شباب)، التي يستهلّها بالمصدر (سُبْحَانَ) من دون أن يضيفَه إلى لفظ الجلالة الذي يناجيه؛ لإيمانه المطلق بقدرة الله على الخلق، ولاسيّما السّماوات، وفي السّماوات السّمو والرفعة، يقول:

64 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 116.
65 زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، 203.
66 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 184.
67 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 241-242.
68 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 293.

سُبْحَانَ مَنْ رَفَعَتْ يَدَاه دَعَائِمَ السَّبْعِ الطِّبَاقِ
خَلَقَ العُلَا، واعَدَّ مِنْ هِمَمِ الشَّبَابِ لَهَا مَرَاقِي[69]

واضحٌ هاهنا الاستغلال الشّعريّ للآية الكريمة: «الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا»، وهو استغلالٌ شعريٌّ وليس اقتباسًا صرفًا، فالشّاعر يخاطب الشبابَ-إيماءً- الذي يرى فيه علوَّ الهمّة وتطاولها وتراصّها، كتراصّ السبع الطباق وتطاولها. وما يلفت الانتباه اضطلاع الشّاعر بمعاني قرآنيّة وتوظيفها في زمن ترهّلت فيه الأمّة وضعفت حبال وصلها بالشريعة الإسلاميّة، فكان لابدَّ من أن يستنهضَ تلك الهمم الغافية التي أضاعت الرجاء وقاربت أن تبلغ الروح التراقيَ، فأيقظوها بالسّيف المصقولة، يقول من القصيدة ذاتها:

أَيْنَ العُرُوبَةُ؟ أَيْنَ فُرْ سَانُ المُسَوَّمَة العتَاق؟
ضَاعَ الرَّجَاءُ، وأَوْشَكَتْ أَنْ تَبْلُغَ الرُّوحُ التَّرَاقِي
قُمْ يَا شَبَابُ وشُدَّ لِلـ ـخَطْبِ النِّطَاقَ عَلَى النِّطَاقِ[70]

إنَّ نفسَ الشّاعر تتوق للزّمن الذي كانت حوافر الخيول المطهَّمَة الحسان تدكّ أرض الأعداء، فيتساءل عن أيّام عظيمة من حياة العرب وَلَّتْ، في استغلال شعريّ لبعض النَّصِّ القرآنيّ «**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ... وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**» كانت ممّا تقتنيها العرب وتتفاخر في حيازتها.

في البيت الثّاني استغلالٌ للنّص القرآنيّ «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» في إشارة من الشّاعر إلى الضعف الذي نخر عظام الأمّة وبلغ رتبًا متقدّمةً، فيسقط حال من كادت روحه تفارق جسده، على أمته التي بلغت روحها تراقيها؛ ما ينذر بزوالها وذوبانها، هذا كلّه في أسلوبٍ عمادهُ الترميز والتكثيف والتّلميح.

6-4- استلهام الشخصيّات الأسطوريّة

إنَّ الأسطورةَ حقل معرفيّ ملتحف بالغموض والضبابيّة والاتساع في التأويل، لأنّها مختلطة بالتّاريخ السحيق لكلِّ أمةٍ، وهي رمزٌ نما وترعرع عبر مرور الزّمن، وما يزال يحتاج إلى مزيدٍ من النّظر ودقّة التأويل[71]. وما لجأ إليه سمعان كان من الأساطير التي استقرّ الفهمُ حولها، وهي أسطورة وادي عَبْقَر الذي ألمح إليه من دون أن يسميه[72]. وشخصيّة سطيح التي عرفت بالتّطير وبالقدرة على التنبّؤ بما سيكون قبل وقوعه، ففي قصيدة (عالم الوحي) يستدعي الرمزين الجاهليين الوادي وسَطِيحٍ الكاهنِ في آنٍ واحدٍ، يقول:

يَـالـوَادٍ تأَلَّبَ الجـنُّ فيه وأَحَاطَتْ بشَاعِرِ الوَحْيِ حُورُهْ
هَبَّ مِنْ كَهْفِهِ (سَطِيحُ)وفي فِيـ ـهِ خِطَابٌ عَذْبُ البَيَانِ غَزِيرُهْ

69 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 211.
70 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 213.
71 رومية، وهب، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 207، 1996، 36.
72 من وادي عبقر السحيق الذي كان يسكنه جانٌّ وكهنة ملهمون، يستلهم الشعراء أشعارهم منهم، انظر: الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ع ب ق).

أَيُّهَا الجِنُّ زَارُكُمْ عَبْقَرِيٌّ يُسْمِعُ الصَّخْرَ شَدْوَهُ فَيُثِيرُهْ[73]

تناول الشّاعرُ أسطورتين في موضعٍ واحد، تدلُّ الأولى –وهي وادي عبقر –على الإلهام؛ فأسقطها على شفيق معلوف؛ بأنّه شاعر ملهم كما هم الشّعراء الأوائل الذين يستوحون أشعارهم من شياطينهم القاطنين وادي عبقر. والثّانية شخصيّة سطيح، الكاهن الذي استوحى منه سجعه المنمَّق الذي شُهِرَ به إلى جانب كهانته في العرب ومعرفته الخارقة لحدود العقل، ليعبّر لنا عن علوّ خطاب شفيق معلوف الشّعريّ ومُكْنَته في بابه، ويفوق قدرة ملهميه من الجّانّ على قول الشّعر الرّصين، أو كأنّ خطابه الشّعريّ المزوَّق في فصاحته وبيانه هو خطاب سطيح الكاهن، وأنّ الشّعراءَ من حول معلوف هم الجّنّ، وهو العبقريّ الذي فيه معاني الكمال، والسيادة والقوة، والشِّدَّة، والعلوّ الذي لا يعلوه شيءٌ[74]، ولخطابه تهتز الصخور وتثارُ لوقعه في النفوس وشدَّة تأثيره.

بقي نصر سمعان مخلصًا لتراثه الثقافيّ ومتمسّكًا بقضايا مجتمعه على الرغم من هجرته وبعده عن الوطن الأمِّ، وانعكس هذا جليًّا في عودته إلى تراث أمته التليد؛ لإيمانه بأنَّ التراث معلمٌ حضاريٌّ في تاريخ الأمم؛ ينير لها الدرب، يستنهض همم أبنائها لمواكبة سيرورة الحياة.

النتائج والتوصيات:

1– بدا نصر سمعان أحدَ أهمّ رموز الأدب والثّقافة العربيّة في المهجر الجنوبيّ، على الرغم من إغفال كثير من المصنّفات المهتمّة بالشّعر المهجريّ لديوانه الذي يصلح لأطروحة جامعية.

2– لم تختلف بواعثُ الرجوع إلى التراث لدى سمعان عن غيره من الشّعراء المهجّرين كثيرًا، فما دفعه، دفع الآخرين، إلّا أنّ الاختلافَ فيما بينهم تمثَّلَ في مقادير هذه العودة والاهتمام بالتراث وشكل استحضاره، وهو ما تميّز به سمعان الذي مال إلى استدعاء الشخصيّات أكثر من غيرها.

3– بدت المعالمُ التراثيّة في نصوصه إعادة خلقٍ للحياة وصوغها برؤية عمادها التّلميح والتّرميز والتكثيف، ترسم ملامح الخلاص من واقعٍ أليم عاشته الأمّة في بدايات القرن العشرين.

4– استلهام الرموز الدينيّة دليلٌ على عهد القوّة والمنعة والتآلف والأخوة التي كانت سائدة في أزمنة رخاء هذه الأمّة التي ظلمها أهلها، على خلاف ما تعنيه اليوم من التحزّب الطائفيّ والتكتّل المقيت.

5– يتّضح للقارئ البصير إيمانُ الشّاعر بقيم نبيلة تمتّعت بها الأمّة قديمًا، واغتنت برصيد تراثيّ ضخم يوصي البحث بإعادة النّظر فيه؛ لما فيه من سبلٍ تستحق الوقوفَ عندها.

6– إن اللّغة الشعريّة التي تمتّعت بها قصائد سمعان لغة فتّانةٌ لما لها من متانة وجمالٍ وجودة سبكٍ، وعمق دلالات، تشوّق القارئَ وتدفعه للغوص فيها، وكأنّها لغة شاعرٍ قديمٍ امتلك ناصية فنّه.

ثبت المصادر والمراجع

آل الجندي، أدهم، **أعلام الأدب والفن**، مطبعة مجلة صوت سورية، د.م.، ١٩٥٤، د.ط.

73 قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، 169.

74 الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ع ب ق).

إسماعيل، سيد علي، **أثر التراث العربي في المسرح العربي المعاصر**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، د.ط.

إسماعيل، عز الدين، الشعر **العربي المعاصر قضاياه وظواهر الفنية**، دار الفكر العربي، د.م.، د.ت.، ط3.

الجابري، محمد عابد، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1991، ط1.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، عدد الأجزاء: 7. دار الكتب العلمية، بيروت، 1424، ط2.

الجرّ، شكر الله، **نصر سمعان**. مجلة الأديب (لبنان)، العدد 5، الأول من أيار/ مايو، 1969.

الحسين، أحمد جاسم، **الأدب العربي الحديث والتراث تحولات العلاقة وخصوصيات الأجناس**، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 102، 2006، ص122 – ص152.

حنفي، حسن، **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ط3.

خفاجي، محمد عبد المنعم، **قصّة الأدب المهجري**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986، د.ط.

الدقاق، عمر، **شعراء العصبة الأندلسية في المهجر**، دار الشرق، د.م.، 1978، ط2.

الدقاق، عمر، **الحياة الأدبية في المهجر البرازيلي**، العصبة الأندلسية، مجلة المعرفة، العدد (80) السنة السابعة، دمشق ،1968، من 37- 59.

رومية، وهب، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 2007، 1996.

زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، د.ط.

زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مطبعة ابن سينا، القاهرة، مصر،2002، ط4.

الزبيدي، المرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، 40 مجلدة، د.ت.، د.ط.

عبد الرحمن، عائشة، **قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر**، دار المعارف، القاهرة، 1970، ط2.

عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، الطبعة 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ط2.

عيسى، منير، **تاريخ حمص**، نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية. سورية، حمص، 1984، د.ط.

قمحية، حسان، **حسني غراب حياته وشعره، دراسة نقدية تحليلية**، سورية، حمص، 2019، ط1.

قمحية، حسان، **عتبات النص في ديوان الشاعر نصر سمعان**، سورية، حمص، 2020، ط1.

قمحية، حسان، **ديوان الشاعر نصر سمعان**، سورية، حمص، 2020، ط1.

محمد، أحمد علي، **الدكتور نعيم اليافي**، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2018، د.ط.

الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، دار المعارف، د.م.، 1977، د.ط.

اليافي، نعيم، **أوهاج الحداثة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1993، د.ط.

Kaynakça

Abdurrahman, Âişe. *Kıyamun cedîde li'l-edebi'l-arabiyyi'l-kadîm ve muâsır.* 2.Basım, Kahire: Dâru'l-Maârif, 1970.

Abdünnûr, Cebbûr. *el-Mu'cemu'l-edebî.2. Basım, Beyrut: Dâru'l-İlm li'l-Melâyîn, 1984.*

Âlu'l-Cundî, Edhem. *A'lâmu'l-edeb ve'l fen*. Dımeşk: Matbaatu Mecalleti Savti Suriye, 1954.

Câbirî, Muhammed Âbid. *et-Turâs ve'l-Hedâse Dirâsât ve Munâkâşât*. Beyrut: Merkez Dirâsâti'l-Vahdeti'l-Arabiyye, 1. Basım, 1991.

Câhız, Amr b. bahr. *el-Hayevân.* 7 Cilt. 2. Basım, Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, 1424.

Cir, Şükrullah.Naser Samaan. Lübnan: *Mecelletü'l-Edîb*/5 (Mayıs/1969) s. 6.

Dakkâk, Ömer. "el-Hayâtü'l-edebiyye fi'l-mehceri'l-Berâzilî–el-Usbetü'l-Endelüsiyye". *Mecelletü'l-Marife*/80, Yedinci yıl, Dimaşk, (1968), 37-59.

Dakkâk, Ömer. *Şuârâu'l-Usbeti'l-Endülüsiyye fi'l-Mehcer.*2. Basım. Dâru'ş-Şark, 1978.

Hafâcî, Muhammed Abdülmünim. *Kıssatu'l-edebi'l-mehcerî*. 2. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Kitâbi'l-Lübnânî, 1973.

Hanefi, Hasan. *et-Turâs ve't-tecdîd Mevkifunâ mine't-turâsi'l-kadîm*. el-Memleketu'l-Muttehide: Muessetu Hindâvî, 4. Basım, 2017.

Huseyin, Ahmed Câsim, "el-Edebu'l-arâbîyyu'l-aadîs ve't-turâs tehavvulâtu'l-alâka ve husûsiyyâtu'l-ecnâs". Mecelletu't-Turâsi'l-Arabî/102 (2006), 122-152**.**

Îsâ, Esad. *Tarihu Hums*. Humus: Matraniyyetu Humus el-Ortodoksiyye, 1984.

İsmail, İzzuddîn. *eş-Şi'ru'l-Arabiyyi'l-muâsir kadâyâhu ve zavâhiru'l-fenniyye ve'l-maneviyye.* 3. Baskı, yy: Dâru'l-Fikri'l-Arabî, ts.

İsmâil, Seyyid Alî. *Eseru't-Turâsi'l-Arabî fi'l-Merâhi'l-ArÂbyi'l-Muâsır*. el-Memleketu'l-Muttahide: Muessesetu Hindâvî, 2017.

Kamhiyye, Hassân. *Dîvânu'ş-şâir Nasr Semaan.1. Basım, Humus: b.y., 2019.*

Kamhiyye, Hassân. *Husnî Garab hayâtuhu ve şiiruhu dirâse nakdiyye tahlîlîyye.* 1.Basım, Humus: b.y., 2019.

Kamhiyye, Hassân.Atebâtu'n-nass fî dîvâni'ş-şâir Nasr Semaan. 1.Basım, Humus: b.y., 2019.

Muhammed, Ahmed Alî. *ed-Doktor Naîm el-Yâfî*. Dimaşk: el-Hey'etu'l-Amme es-Sûriyye lil'l-Kitâb, 2018.

Nâûrî, Îsâ. Edebu'l-Mehcer. 3. Basım, yy: Dâru'l-Maârif, 1977.

Rûmiyye, Veheb. Şirune'l-kadîm ve'n-nakdu'l-cedîd. Küveyt: Silsiletu Âlemi'l-Maarifeti'l-Küveytiyyeti, 1996**.**

Yâfî, Naîm. *Evhâcu'l-hadâse. Dimaşk:İttihâdu'l-Kuttâbi'l-Arab, 1977*.

Zâyid, Alî Uşrî. *An binâi'l-kasîdeti'l-arabiyyeti'l-hadîse. 4. Basım, Kahire: Matbaatu İbn Sînâ, 2002.*

Zâyid, Alî Uşrî. *İstidâu'ş-şahsiyyati't-turâsiyye fi'ş-şiri'l-arabiyyi'l-muâsır.* Kahire: Dâru'l-fikri'l-arabî, 1997.

Zebîdî, el-Murtazâ. *Tâcu'l-ʿarûs min cevâhiri'l-kâmûs.* 40 Cilt. Küveyt: Vezâretu'l-İlâmi'l-Küveytiyye, ts.